

# الفصل الثالث

## العلم ومعاييره فى الاسلام

### العلم فى القرآن

#### نشاط رقم « ٦ »

لقد وردت كلمة العلم بمشتقاتها ٨٥٥ مرة فى آيات القرآن الكريم  
ومن بين هذه الايات ما يلى :

★ « .. ولا تعجل بالقرآن من قبل ان يلقى اليك وحيه ، وقل رب  
زدنى علما » .. ( طه : ١١٤ ) .

★ « ألم تر ان الله انزل من السماء ماء فاخرجنا به ثمرات مختلفا الوانها  
ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف الوانها وجرابيب سود ، ومن  
الناس والدواب والانعام مختلف الوانه كذلك ، انما يخشى الله  
من عباده العلماء .. ( فاطر : ٢٧ ، ٢٨ ) .

★ « قل ان هدى الله هو الهدى ، ولئن اتبعت اهواءهم بعد  
الذى جاءك من العلم ما لك من الله من ولى ولا نصير » .

( البقرة : ١٢٠ )

هل المقصود بالعلم فى القرآن علم الدين وحده ؟ ام المقصود  
به العلم الطبيعى دون سواه ؟ ..

انه من قبيل المغالطة ان نقصر كلمة : « علم » (١) التى وردت فى

(١) لاحظ ان كلمة « العلم » كما وردت فى القرآن قد ترادف  
كلمة معرفة Knowledge والمرنة اشمل من العلم

القرآن على الدين وحده ، أو أن تقصر كلمة « العلماء » على علماء الدين وحدهم كما أنه من المفالطة أيضا قصر كلمة العلم في القرآن على « العلم الطبيعي » دون سواه ( عبد الحافظ حامى محمد ، ١٩٨٢ ) .  
فالعلم في القرآن يشمل : الدين والعلم الطبيعي ، وغير ذلك من المعارف .

وقد أشار عبد المنعم خلاف ( ١٩٧٦ ، ص ٨٧ - ٩٠ ) الى أن العلم في القرآن يشمل ثلاثة أنواع :

**الأول : العلم المكتسب** وهو من اعظم المميزات التي وهبها الخالق للإنسان وهو « الحكم العقلي » كما يسميه علماء العقائد المسلمون وهو مبني على مسلمات البدهة ، والفطرة التي فطر الله الناس عليها وبنى كذلك على قدرة العقل على اثبات الحقائق بالبرهان (١) ، كتوانين الرياضيات وكاليقين العقلي الجازم . بحتية وجود الخالق ، الى آخر الحقائق الدينية والكونية العقلية كرحمانية الخالق في خلقه ، وأبديته في ذاته ، وحتمية احاطة علمه وقدرته بكل شيء ، وكمدله ورحمته وقيومته وعدم تناهي كمالاته .

وهذا النوع من العلم هو المراد في قوله تعالى : « شهد الله انه لا اله الا هو ، والملائكة وأولو العلم ، قائما بالتوسط . لا اله الا هو العزيز الحكيم » - ( آل عمران : ١٨ ) - وفي قوله : « والراسخون في العلم يقولون : آمنا به ، كل من عند ربنا » - ( آل عمران : ٧ ) . . أى قادم من عند ربنا وقد ثبتت علميته التي تلزم العقل بالايمن .

وفي قوله : قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون ، انما يتذكر اولو الالباب - ( الزمر : ٩ ) .

وهذا النوع من العلم هو اعظم مقامات الانسان ، لانه يجعله شاهدا مع الله الكبير المتعالى ، ومع ملاه الأعلى . على اعظم حقيقة عقلية ودينية وكونية وهي وحدانيته تعالى ، وقيومته على الوجود كله بالتوسط ، وعلى عزته وقوته وحكيته .

---

(١) يستفد هذا النوع من العلم على ما يسمى بالحدس العقلي . وهو ما يدركه العقل ادراكا مباشرا دون حاجة الى أية واسطة أو تعليل ، مثل ادراك ان الكل أكبر من الجزء أو أن النقيضين لا يجتمعان أو ادراك ان لكل معلول علة ( انظر محمد ابو حمدان ، ١٩٧٨ ) .

**والنوع الثاني من العلم :** هو المبنى على التجارب الحسية في الطبيعة ومشاهدها وعلى النظر والتأمل في كل ما خلق ، وعلى استخلاص قوانين التكوين والهدم والتسخير لتوى الطبيعة(١) . وهو المستفاد من قول القرآن : ( انما يخشى الله من عباده العلماء ) .

بعد سرد الكائنات والمشاهد الكونية التي وردت في صدر الآية التي ختمت بـ « ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف السنتكم والأوانكم . ان في ذلك لايات للعالمين — الروم : ٢٢ » وقوله : « وهو الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر . قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون — الأنعام ٩٥ . . ولا يخفى أن النوع الأول من المفاهيم الترانسية للعلم ، وهو الحكم العقلى ، هو فى الواقع وراء كل علم مستنبط من المشاهدة والتجارب الحسية ، لانه هو الذى يستخدمه الفكر لادراك الحقائق الحسية ، والنسب والعلاقات بين الأشياء ، والتمييز بينها وتصنيفها ، واستخراج قوانينها وأسرارها ، لان الحقائق والقوانين الطبيعية لا تنطق بذاتها ، ولا تخرج الى عالم الألفاظ وحدها ، وانما يستخرجها الفكر الانسانى ويصحبها ، ليبرزها ويظهرها فى عالم الصيغ والألفاظ ، ويقننها ويسجلها فى سجل العلوم والحقائق الثابتة فى ميراث الإنسانية كلها .

**والنوع الثالث من العلم فى المفاهيم الترانسية هو العلم عن طريق الوحي الالهى للانبيا .** ولا يأتى عن طريق معاناة الحواس أو العقل فى ادراكها الحقائق الحسية أو العقلية ، كما هو الشأن فى النوعين السابقين من أنواع العلم ، وانما يأتى ، كما قلنا ، عن طريق الوحي الالهى الى الروح الانسانى الممثل فى الانبياء والمرسلين .

. فهو فيض من علم الله سبحانه ، ونوره الكاشف ، ينزله على قلب النبى بحتائق بعضها من الغيب المحجب عن القول ، كأخبار البعث والقيامة والحشر والحساب والجنة والنار والمسأل الأعلى ، وبعضها من عالم التجارب والوقائع والشرائع والنظم فى هذه الحياة الدنيا كأخبار الامم السالفة ، وكانباء المستقبل وكالاحكام الصحيحة فى الاجتماع والسياسة والاقتصاد والشريعة ، وكل اولئك ينزل بوحي الله للرسول ليعلمه ويبلغه الى الناس حقائق مضيئة هادية تكسب المؤمنين علما ويقينا لم يبذل عقل الرسول ولا عقول المؤمنين جهدا فى معاناة الوصول اليه .

---

(١) يطلق على هذا النوع من العلم : « العلم الطبيعى » وهو ما حدثناك عنه سلفنا .

وفي هذا النوع من العلم يقول القرآن : « ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يلقى اليك وحيه ، وقل رب زدني علما » .

ويقول : « فوجدنا عبدا من عبادنا آتياه رحمة من عندنا وعلما من لدنا علما » وهذا علم انكشاف احداث المستقبل قبل وقوعها ، وعلم تفسير وقائع الخير والشر ، وسيرها كما في علم الله وحكمته . ويقول تعالى : « تلك من انبياء النقيب نوحيا اليك ، ما كنت تعلمها انت ولا تزك من قبل هذا » . ويقول : « غلبت الروم في ادنى الارض ، وهم من بعد غلبهم سيفلون » .

ومن هذا النوع الثالث علم تأويل الرؤى المنامية التي تراها بعض النفوس فتفسرها ، وتعبرها عقول ذات شغافية خاصة ، وفطنة للرموز والاشارات .

وفي هذا يقول القرآن في قصة يوسف عليه السلام : « وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الاحاديث » - ( يوسف : ٦ ) .

**ويعد :**

ان العلم - بالمعنى الاسلامى - يخالف مفهوم العلم بالمعنى الأوربى Science فمفهوم العلم بالمعنى الاسلامى أوسع دائرة ، انه المعرفة بكل نافع من الامور ، انه المعرفة بالكون وبما وراء الكون ، بالوجود المادى وبالوجود الروحى ، انه المعرفة بالاتفاق وبالانفاس ، وفي نطاق ذلك يدخل العلم الطبيعى . ( عبد الحلیم محمود ، ١٩٧٩ ، ص ٤٧ ) .

### **معايير العلم في الإسلام ؟**

وضع الاسلام مجموعة من المعايير الخاصة بالعلم ( المعرفة ) ، بما في ذلك « العلم الطبيعى » ( عمر الشيبانى ، ١٩٧٦ ) نذكر منها ما يلى :

#### **١ - الموضوعية :**

ويتصد بها هنا عدم اتباع الهوى ، وعدم التمسك بالانكار السابقة بعد أن يتبين للشخص مسادها ، التزام النزاهة واستبعاد الاعتبارات الشخصية ، واستبعاد التعصب من أى نوع ، وتوخى الحق . الى غير ذلك من خصائص وشروط البحث النزيه .

وقد ذكرنا الاسلام كثيرا بدور الاهواء في تضليل الانسان ، يقول  
جل شأنه : « ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان امره  
فرطا » - ( الكهف - ٦٨ ) .

الليست الموضوعية التي اقرها الاسلام هي نفسها احدى قيم  
العلم الحديث ؟ ( انظر ايضا حمدي أبو الفتوح عطيفة ، ١٩٨٢ ) .

## ٢ - التواضع :

ويقصد به تجنب الفرور ، والثقة الزائدة بالذات وادعاء العلم ،  
وعدم التطاول على ما اختص الله بطله ، ( وفوق كل ذي علم عليم ) ،  
فالاسلام يعلم الانسان انه مهما زاد علمه ، واتسعت معارفه سيظل محدود  
العلم والمعرفة ، « وما اوتيتم من العلم الا قليلا » - الاسراء : ٨٥ - ويقول  
الرسول صلى الله عليه وسلم : ( لا يزال الرجل عالما ما طلب العلم ،  
فاذا ظن انه قد علم فقد جهل ) - ( حديث شريف ) .

انيس التواضع العلمى كما اقره الاسلام هو نفسه التواضع العلمى  
الذى يقره العلم الحديث ، ويتصف به العلماء الحقيقيون لا المغرورون  
منهم ؟ ..

تأمل معنا قول أينشتين - عالم الطبيعة ذائع السميت :

« ان العقل البشرى مهما بلغ من عظم التسريب ، وسمو التفكير ،  
عاجز عن الاحاطة بالكون ، فنحن أشبه الاشياء بطفل داخل مكتبة كبيرة  
ارتفعت كتبها حتى السقف ، وهى مكتوبة بلغات كثيرة ، فالطفل يعلم انه  
لا بد أن يكون هناك شخص قد كتب تلك الكتب ، ولكنه لا يعرف من  
كتبها ، ولا كيف كانت كتابته لها ، وهو لا يفهم اللغات التى كتبت بها ،  
ثم ان الطفل يلاحظ أن هناك طريقة معينة في ترتيب الكتب ، ونظاما خفيا  
لا يدركه ولكنه يعلم بوجوده ، وهذا يشبه موقف العقل الانسانى من  
الله ، مهما بلغ ذلك العقل من سمو والعظمة والتثقيف العسالى »  
( نقلا عن أبو الوفا التنفزانى ، ١٩٨٢ ، ص ٢١٠ ) .

### ٣ - النفعية :

العلم الذى يدعو اليه القرآن هو العلم النافع فى مجال الكون أو ما وراء الكون ، فى مجال العقائد ، وفى مجال الاخلاق . فالاسلام يؤكد على ضرورة أن يكون العلم نافعا للفرد وللمجتمع ( عبد الحلیم محمود : ١٩٧٩ ، أبو الوفا التفتازانى ، ١٩٨١ ) .

ولهذا جاء فى دعاء لرسول الله - صلى الله عليه وسلم :  
« اللهم انى أعوذ بك من قلب لا يخشع ، ومن دعاء لا يسمع ، ومن نفس لا تشبع ، ومن علم لا ينفع » وفى حديث آخر يقول الرسول - صلى الله عليه وسلم : « مثل علم لا ينتفع به كمثل كنز لا ينفق منه فى سبيل الله » .

ان موقف الاسلام من نفعية العلم ليتجاوز نظرة العلم الحديث « العلم الطبيعى » والتي يقف فيها العلم موقفا محايدا من الخير والشر .

ليس العلم الحديث - كما سبق ان أوضحنا - يخدم الخير والشر على السواء ؟ .

الم يخلق العلم الحديث بموقفه هذا حالة من القلق والذعر الانسانى والتي دفعت بالبعض الى القول « بهجر العلم » (١) .

### ٤ - الاستمرارية :

لم يقف الاسلام حائلا دون استمرارية العلم بل شجع الانسان على مواصلة البحث والاستزادة من العلم . وفى الخطاب القرآنى الصريح :  
« وقل رب زدنى علما » - ( طه : ١١٤ ) .

فمن الواضح - كما قال اهل البيان - ان التنوين فى لفظة « علما » يوحى بالشمول - حتى لكان الانسان - كل الانسان فى كل زمان ومكان - مطالب - أو بالاحرى يطالب نفسه - بالاستزادة من كل علم يسببر به أغوار الوجود ، بلا حدود ولا قيود - ( صبحى الصالح ، ١٩٧٦ ) .

(١) راجع ما سبق ان ذكرناه فى ذلك عند حديثنا عن ( اغتراب العلم ) .

ليس في نظرة الاسلام لاستمرارية العلم ما يتفق مع مقولة العلم  
الحديث بأن العلم نشاط لا نهاية له Open-ended Activity

وبعد :

لقد قدمنا لك صورة عن العلم الطبيعي وحدوده ، وحالة  
الاغتراب التي يعيشها . ثم تناولنا بالحديث العلم في الاسلام ومعاييره .  
اظنك الان في شوق لمعرفة شيء عن الدين ..